

المحاضرة الأولى : المنهج الوصفي

مصادر ومراجع المحاضرة :

سيبويه ، الكتاب
السيوطي ، المظهر في علوم اللغة
رمضان عبد التواب ، المدخل إلى علم اللغة ، ومناهج البحث اللغوي
علي زوين ، منهج البحث اللغوي بين التراث والدرس اللغوي الحديث
ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ،
صالح بلعيد ، في المناهج اللغوية وإعداد الأبحاث
رياض قاسم ، اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العرب
حمد رضا ، رد العامي إلى الفصيح
أنيس فريجة ، معجم الألفاظ العامية

السؤال أو الإشكالية التي تطرح وتكرر دائما هي: هل نجد بذورا أولية لهذا للمنهج الوصفي في الدراسات اللغوية

العربية المبكرة ؟ بتعبير آخر هل بدأ النحو العربي **وصفيا** أو **معياريًا**؟ وقبل ذلك هل ملك العرب **قديما** **منهجًا** أو **مناهجًا** أقاموا عليها دراساتهم؟

يمكن أن نجيب عن هذه التساؤلات كالآتي :

النقل والرواية : أي الاتصال المباشر بالواقع اللغوي ، بمعنى تلقي النصوص من أفواه الرواة ومشاهدة الأعراب والنقل

عنهم مما مَّحَّد إلى **استقراء** اللغة واستنباط القواعد نتيجة لهذا الاستقراء ، فقد درج النحاة واللغويون الأوائل على النقل المباشر من البادية أو غير المباشر من أفواه الأعراب الوافدين إلى المدن والأمصار ، " هذه المرويات هي التي هيأت للدارسين الأولين مواد دراستهم سواء كان منها ما يتصل بالأدب أم ما يتصل باللغة".

✚ إن منهج البحث في المدرسة الكوفية التقليدية في بداية نشأتها كان أقرب إلى المنهج الوصفي باعتماد الكوفيين أساسا على **المسموع** وبخاصة النصوص وعدم اخضاعها كلية إلى القواعد بل استنباط القواعد منها وتوجيههم نصوص القرآن واللغة والأدب هذا المنحى من المنهج وعدم اعتمادهم الكبير على التأويلات البعيدة المتكلفة، وابتعادهم عن اخضاع الدرس اللغوي عن روح منطق البحث، ويمكن تلخيص منهج البحث في المدرسة الكوفية "اعتداد الكوفيين **بالنقل**، وتناولهم القياس الكوفيين بالنقل، وتناولهم القياس تناولا لا يمس روح النص اللغوي، وجنوحهم عن اتباع التأويلات البعيدة والتوجيهات المتكلفة، والامعان المنطقي وتعديلهم القواعد حتى تتلاقى مع المسموع، وتفسيرهم النصوص القرآنية والنصوص اللغوية الأخرى تفسيراً لا يكاد يخالف **الظاهر**، وميلهم عن اخضاعها لما تواضعوا عليه من أصول، وشم بناء كثير من أحكامهم على القراءات التي سبق للبصريين أن أكرهوا جانباً منها على قبول معنى خاص هدفوا إليه وابتعدوا جانباً آخر منها لأنه استعصى على الخضوع لقواعدهم وأبعد في الخروج على تأويلاتهم ثم التماس ذلك في أقوال أئمتهم وأعمالهم ووجد أنهم يلتزمون الدقة فيه ويتنكبون مخالفته ويتخرجون من الخروج عليه".

✚ تناول المنهج الوصفي الظاهرة اللغوية على أساس شكلي وليس على أساس معنوي، والشكل هو الظاهر والمنهج الوصفي " يقوم على أساس وصف اللغة أو اللهجة في مستوياتها المختلفة، أي في نواحي أصواتها، ومقاطعها وأبنيته ودلالاتها وتراكيبها، وألفاظها، أو في بعض هذه النواحي، ولا يتخطى مرحلة الوصف".

1. أسس المنهج الوصفي :

➤ مما تقدم نستنتج أن العرب قديماً قد سلكوا مسالك أولية في البحث اللغوي، عندما كانوا يجمعون اللغة (السامع - المشافعة)؛ حيث قاموا بالتدريب والتصنيف والفهرسة، وأقاموا مدونات انتجت معاجم عامة ومتخصصة ويمكن أن يعد ذلك صفة أولية من صفات البحث العلمي المنهجي، وبخاصة في باب التحريات اللغوية التي كانت تتجه إلى البادية؛ ويضاف إلى ذلك القوانين الصارمة المحدودة في الزمان والمكان، كذلك ما قاموا به من تبويب كتب متخصصة في الحقول الدلالية .

➤ بعد استقرار المادة اللغوية المحصلة، استنبطت منها القواعد الكلية والجزئية أي جعلت القاعدة خاضعة للاستقراء وليس العكس، أما شرطها الثاني فقد أخذت بالقواعد التي انتهت إليها وأخضعت لها المادة اللغوية القديمة والمستجدة، وتةفتت في استقرائها عند عصر اصطلاح عليه بعصر الاستشهاد الذي يعد قدحاً كبيراً في تاريخ الدراسات

اللغوية العربية، فانقلب الميزان من الوصف إلى المعيار، من اخضاع القاعدة إلى اخضاع المادة اللغوية، من استمرارية الاستقراء والأخذ إلى التوقف عنها.

➤ لقد كان علم العربية في بداية أمره معرفة من المعارف ثم أصبح علما من العلوم بعد تطوّر منهج النظر في نصوص اللغة.

2. خصائص المنهج الوصفي : يتميز المنهج الوصفي عن غيره من المناهج بأنه:

- أ. يهتم باللغة المنطوقة ويجعلها هدف البحث اللغوي، لأنّ التغيرات أكثر ما تظهر على اللغة المنطوقة.
- ب. يقتصر على الجانب الشكلي في وصف الظواهر اللغوية، وطرح كل ماهو غير شكلي ولا تحدّه الصوابت التركيبية للوحدات اللغوية.
- ج. لا يعير اهتماما للمنطق الأرسطي لأنه يؤدي إلى اضطراب والجدل الذهني، ويهتم بمنطق اللغة الذي يؤدي إلى التفكير المنظم في تناول مظاهر اللغة وعناصرها وتقسيم فصائلها وأنواعها.
- د. يستهدف وصف الظاهرة اللغوية دون الوقوف على مراحل تطورها، بل يصفها كما هي من حيث اطراد وشيوع قواعدها.

3. أسسها : من أسس المنهج الوصفي :

➤ الاستقراء : حيث يقم الواصف دراسته على الوقوف على كيفية التي تنفذ بها اللغة على ألسنة المتكلمين ، ويشترط في ذلك :

➤ تحديد الزمان : حيث يهتم بتحديد الفترة الزمنية التي وقعت فيها تلك الدراسة.

➤ تحديد المكان : وذلك بتحديد المساحة المكانية بهدف تحديد المدونة؛ كون اللغة في تطوّر مستمر بتغيّر الأزمنة والأمكنة، حيث يقع اهتمامه على عينة محدّدة تجرى عليها الدراسة، فيوضّح حجم هذه العينة وسبب اختيارها.

➤ تحديد مستوى الأداء : معنى هذا الاهتمام بالمستويات اللغوية (فصحى - وسطى - عامية) أو نوع الفن المتعامل معه (شعر - نثر - قصة) فيهم بدراسة اللغات واللهجات على حد سواء بهدف الوصول إلى استنباط قواعد كلّية تنطبق على اللغات كلها، فيركز على كل المستويات، بدءا بالأصوات ؛ أي وصف الأصوات وقواعد تشكيلها

للقوف عند طبيعتها، ويهتم بجانب وإصدار الأصوات أو الجانب النطقي والجانب الفيزيائي لها ، والجانب السمعي ، كما اعتنى بالنظام الصرفي ، أي المستوى الصرفي الذي يعتمد بدوره نتائج البحث الصوتي ، فبين مختلف البنى الإفرادية، ويحدد أنواعها وأشكالها وصورها.

➤ **التصنيف** : _ الملاحظة الدقيقة، تحديد أوجه الاختلاف والاتفاق

➤ **التفصيل** : وضع القواعد المناسبة لما لاحظته الواصف بعد الاستقراء والتصنيف.

4. نماذج تطبيقية عن المنهج الوصفي في التراث والدراسات الحديثة

أ. في كتب التراث:

- هناك نصوص كثيرة في كتب اللغة ذات عبارات وصفية ، كقولهم:
- [عربي جيد]، " ... وإن قدمت الاسم فهو عربي جيد كما كان ذلك عربيا جيدا وذلك قولك زيدا ضربت "
- [وزعموا أن بعض العرب]، " شهر ثرى وشهر ترى وشهر مرعى يريد ترى في؛ فهذا ضعيف والوجه الأكثر الأعراف النصب وإنما شبهوه بقولهم الذي رأيت فلان حين لم يذكروا الهاء...."
- [ومن العرب] "ومن العرب من يثقل الكلمة إذا وقف عليها ولا يثقلها في الوصل"
- [وسمعا من يوثق من العرب يقول] اجتمعت أهل اليمامة
- [هذا باب استكرهه النحويون... على غير ما وضعت العرب]، " هذا باب استكرهه النحويون وهو قبيح فوضعوا الكلام على غير ما وضعت العرب، وذلك قولك : وجر له وتب، وتبا لك وويجا؛ فجعلوا { التبا } بمنزلة {الويج}، وجعلوا {ويج} بمنزلة {التبا} فوضعوا كل واحد منها في غير الموضع الذي وضعته العرب"
- [فزعم أنها عربية]، " هذا باب ما ينتصب في التعظيم والمدح : وإن شئت جعلته صفة فخرى على الأول، وإن شئت فابتدأته، وذلك قولك : الحمد لله الحميد هو، والحمد لله أهل الحمد، والمحمد لله أهل الملك وسمعا العرب يقول : الحمد لله رب العالمين فسألت عنها يونس فزعم أنها عربية "

- [..إلا أن الاستعمال لم يأت في ذلك]، " من هذا الباب قولهم : رأيت زنجيا ما فعل ؟ وفي التثنية والجمع: رأيتكما وأرأيتكم، والتاء في ضمير الفاعل مفردة في جميع الأحوال ، وإن كان المخاطب واحدا مذكرا أو مؤنثا أو مجموعا، والقياس لا يمنع تثنية ذلك وجمعه كما لم يمنع من ماضي {يدع}و {يذر}؛ إلا أن الاستعمال لم يأت في ذلك"
 - [والعرب تستعمل]، "والعرب تستعمل الواو بمعنى (زُبَّ) فيقولون : وبلد قطعُ، يريدون: رب بلد"
 - [وما أظن أن العرب فاهت بذلك يوما ما]، "إن المفتوحة المخففة: عطفها على (إن) المكسورة في قوله :
- إمّا أقمت وأما أنت مرتحلا فالله يكلأ ما تأتي و تذرُ"
- الرواية بكسر إن الأولى وفتح الثانية؛ فلو كانت المفتوحة مصدرية، عطف المفرد على الجملة..... وما أظن أن العرب فاهت بذلك يوما ما "
- [وزعم يونس أنه سمع رؤبة يقول : (ما جاءت حاجتك)فرجع]
 - [واعلم أن ناسا من العرب يجعلون هلم بمنزلة الأمثلة التي أخذت من الفعل، يقولون : هلمي وهلموا وهلموا]
 - "[المناظرة "المسألة الزنبورية"] وهي سؤال طرحه الكسائي على سيديويه في مجلس ، وخوى السؤال قول العرب
- كنت أطنّ العقرب أشدُّ لسعة من الزنور فإذا هو هي) أو (فإذا هو أياها)....."
- ب. **الدراسات الحديثة:**

من معايير المنهج الوصفي الأساسية تحليل أنواع الصيغ والمفردات اللغوية والكشف عن الأنظمة النحوية والصرفية للغة الموصوفة كنظام النفي والاستفهام والتجمعات المورفيمية ونظام السوابق واللواحق... إلخ فمن حيث الصيغ ، يجب على المحلل أن يقوم ببيان أنواع الصيغ للغة التي يجللها، وقواعد تبديل الصيغة تتشكل أنظمة جديدة كنظام النفي أو الاستفهام في الجملة، وكذلك المعالم الخاصة الموروثة في اللغة موضوع البحث.

من الأمثلة التطبيقية على التحليل الفونيمي والمورفيمي:

أ) حصر الفونيمات عن طريق ما يعرف فنيا باسم **الثنائيات الصغرى** Minimal pairs وذلك بأن يمتحن كل كلمتين تتفقان تماما في كل الأصوات ما عدا واحدا مثل: [سلب، سقب، شطب، شحب]، فإذا استلزم التغيير الصوتي تغييرا في المعنى يعلم حينئذ أنهما فونيمان مختلفان (ل) و(ق) و(ط) و(ح).

ب) إذا كان هناك تقابل أكيد في المعنى أمكن للباحث أن يعدهما مورفيمين منفصلين، ولكن إذا كان المورفيان يحملان نفس المعنى ويستعملان في موقعين مختلفين اعتبرهما المرفيمات، لمورفيم واحد.

نحو: يكتبان ، ويكتبون، كل منهما يحمل معنى خاصا فهما إذن مورفيان منفصلان، ف(ان) تدل على اسناد إلى اثنين، و(ون) تدل على الاسناد إلى الجماعة.

يهتم المنهج الوصفي **باللغة المنطوقة**، ويقتصر على الجانب الشكلي في صنعه الظواهر اللغوية وذلك عن طريق الوصف الدقيق لأصوات اللغة وأبنيها وتراكيبها ودلالات ألفاظها داخل النص، ويعتمد في كثير من الدراسات، الإحصاء من أجل حصر المفردات أو التعرف على الأبنية في ديوان ما مثلا، أو على الثروة اللفظية في شعر شاعر ما مثلا، وما يندرج في لغته من أضداد وترادف ومشارك لفظي، ويستعمل الإحصاء للإفادة في إعداد المعجمات، وفي إعداد دراسة لغوية عن لغة شاعر ما، أو في إعداد كتاب تعليمي.

← من بين الأعمال اللغوية الحديثة، التي أفاد منها المنهج الوصفي (الأطلس اللغوي)، تميّز عملان بمنهجها الوصفي، ويندرج العملان في موضوع واحد هو وصف اللهجة اللبنانية في قطاع جغرافي معين.

← وقد تبدى المنهج الوصفي، في هذين العملين، عبر نقطتين :

* **الأولى** : بدت في طريقة جمع المادة اللغوية، فلمؤلفان حددا القطاع الجغرافي (المكاني) الذي أخذت منه الألفاظ، **فأحمد رضا** يسجل لهجة يسميها كل يوم، بل كل ساعة، على حد قوله، وهي لهجة جبل عاملة (جنوب لبنان، وساحل دمشق وما يليه من سفوح لبنان، وقد جمع ما يزيد عن ألف وأربعمائة مادة، أما **أنيس فريجة** فقد أخذ مادته من أبناء قريته (رأس المتن)، وقد جمع ما يزيد على الأربعة آلاف مادة.

• بالقرارة بين طبيعة المكانين، نجد أن تحديد المكان عند أنيس فريجة ينسجم أكثر مع المنهج الوصفي أكثر من تحديد أحد رضا، فالرقعة الجغرافية التي حددها تشمل على قطاعات لغوية متعددة.

* **الثانية:** وقد بدت في تحديد المصدر البشري الذي أخذت عنه المادة، فأحمد رضا يعتمد إلى أبناء بلده ومن جاورهم ليسجل ما يتفوهون به، وانيس فريجة يأخذ عن أبناء قريته، فكان يتلفظ من أفضل المصادر وأثبتها أفواه الناس .

• وقد شرح أنيس فريجة كيف تلتقط الألفاظ من أفواه الناس، فكان ذلك " وهم عني في غفلة لئلا يغيروا ويبدلوا كما يميل القرويون أن يفعلوا إذا حاولوا أن يكلموك ظنًا منهم أنك تعيب غ=عليهم لغتهم الخاصة، كنا إذا سمعنا حديثًا، ونحن في سهراتهم وحفلاتهم وأفراحهم ومآتمهم، ندون ما نخاله عاميًا".

• أما أحمد رضا فلم يتعرض إلى شرح طريقة أخذه المادة عن الناس، لكن مقدم الكتاب **سليمان ظاهر**، يذكر شيئًا عن طريقة هذا الجمع إذ يقول " كان يأخذ الكلمات العامية عن العوام كما يلفظونها في موارد استعمالها في مرافق حياتهم بمختلف صناعاتها وحرفها، فكان يسأل ولا يميل من السؤال كل ذي حرفة عن أدواتها ولا يستكنف من ذلك، ويقيدها ثم يعرضها على أمهات الكتب اللغوية..... ولم يكن يغفل شيئًا مما يدور على السنة عامة ديار الشام.."

• وقد ذهب هذان المؤلفان (أحمد رضا) و (أنيس فريجة) إلى تأصيل اللفظ العامي، وتحديد الجذور المنبثقة له، هذا على ما بين المؤلفين من اختلاف في رد هذا اللفظ، ففي حين يعمل أحمد رضا على رد العامي إلى العربي الفصيح، يذهب أنيس فريجة إلى تسليط الضوء على الدوائر السريانية والآرامية والعبرية في العامي.